الفكر الديني في آسيا الصغرى في عهد الحيثيين

بقلم
الدكتور تقي الدباغ
استاذ بكلية الاداب في جامعة بغداد

تكون آسيا الصغرى ممرا طبيعيا بين اقدم المراكز المدنية في اسيا وشبه جزيرة البلقان واليونان ، وقد تأثرت سواحلها الغربية بالحضارات الايجية والاغريقية ، اما اطرافها الشرقية والجنوبية فكانت تناخم الشعوب السامية وقد استطاعت ان تصمد امام زحف هذه الشعوب ولكنها لم تستطع الصمود امام هجمات الحيثيين .

وكانت آسيا الصغرى منذ اواخر العصر الحجري الحديث[1] وطنا لسلالة البحر المتوسط التي انتشرت في حوضه الشرقي وقد تأثرت عبر تاريخها القديم بحضارات الامم التي استوطنت هذا الجزء من حوض البحر المتوسط في الجزر الايجية وسورية وفلسطين وعيلام ومصر في عصر قبل السلالات وتمتاز هذه السلالة بالقامة المتوسطة والرأس الطويل والانف البارز ، وعثر على بقاياها اثناء التنقيبات التي جرت في طروادة . أما الحيثيون فهم شعب يمثل طلائع الهنود الاوربيين في أقطار الشرق الادنى وهم أصحاب أول حضارة مستقلة ظهرت في وسط شبه جزيرة اسيا الصغرى في العصر البرونزي وقد وفدوا على البلاد من سهوب جنوب روسيا بعد ان اجتازوا اقاليم شمال البحر الاسود وشمال البلقان والبوسفور . وكان هؤلاء الحيثيون يحملون بعض صفات الشقرة وقد ثبت ان لغتهم الحيثية كانت لغة آرية قديمة ، وكان هذا العنصر الهندي الاوربي يقود بقية السكان المكون من سلالة البحر المتوسط القديمة .

ويظهر ان الحيثيين بدأوا منذ بداية الالف الثاني قبل الميلاد بتأسيس دويلات مدن صغيرة كانت تنافس بعضها ، ومن أشهر تلك الدويلات كما يفهم من النصوص الآشورية مملكة بروش خاندا ومملكة كوزاراس ومملكة نيساس • ويظهر ان نوعا من الوحدة السياسية قد تحقق على يد بتخاناس ملك كوزاراس وان هذه الوحدة قد قويت في زمن ابنه انيتاس ويظهر ان السلطة انتقلت بعد هذا العاهل الى سلالة حيثية اخرى تزعمها الملك لابرناس وذكر احفاد هذا الملك جهود جدهم في حروبه المظفرة التي استطاع بها ان يوسع رقعة المملكة الى ارزاوا على السواحل الغربية للبحر المتوسط • وتتابع احفاد هذا الملك في حكم المملكة وتقويتها وتوسيع حدودها وازدهارها واشتهر منهم حاتوشيلش ابن لابرناس الذي استقر فى مدينة حاتوشاش (بوغاز كوى الحديثة) واتخذها عاصمة للملكة ، وقد نجح هذا الملك في السيطرة على مملكة يامهاد في الجنوب من الاناضول واحتل موريشيلش الاول مدينة بابل في العراق وأصبحت المملكة البابلية تابعة للحيثيين مدة من الزمن • وبدأ العهد الامبراطوري لهذه الاسرة زمن الملك توخالياش الثاني • وفي عهد خلفائه تم التوسع في المناطق التي كان يحكمها الميتانيون وفي زمن مواتاليش انتصر الحيثيون على مصر في معركة قادش سنة ١٢٨٦ قبل الميلاد ، ثم عقدت معاهدة مع مصر سنة ١٢٧٠ قبل الميلاد لتسوية الامور المتعلقة بسورية زمن الملك حاتوشيلش الثالث • وفي زمن شوبيلوليوماش سقطت المملكة الحيثية في اواخر الالف الثاني قبل الميلاد ، ويفهم من روايات الخوريين ان الفريجيين حلوا محل الحيثيين وقد وجدت آثارهم في بوغازكوى وكورديوم وعليشار اويوك فوق آثار الحيثيين •

وتعتمد معرفتنا بالحيثيين على المصادر الدينية والوثائق التاريخية القديمة ، وملاحظات الرحالة القدماء ونتائج التنقيبات • ففي العهد القديم يذكر ان النبي سليمان كان يستورد الخيول من مصر ويبيعها الى الملوك الحيثيين والاراميين[٢] وان سليمان اتخذ من بين زوجاته العديدات نساء

حثيات[٣] . ويظهر من النصوص التاريخية الفرعونية ان ملوك السلالة الثامنة عشرة كانوا على صلة مع بلاد اسمها خاتا ، وقد حدث هذا الاتصال زمن الفرعون طحطوس الثالث في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وقد حارب الفرعون رعمسيس الثاني الحيثيين وحلفاءهم في معركة قادش[٤] وعقد معهم معاهدة صلح نقشت نصوصها على جدران المعبد العظيم في الكرنك . ولاريب في ان سكان خاتا الذين ورد ذكرهم في النصوص الفرعونية والحيثيين الذين ورد ذكرهم في العهد القديم هم جماعة واحدة ، وقد اكدت الكتابات المسمارية الاشورية من عهد تجلات بلاصر الاول صحة هذا الرأي اذ كانت سورية تعرف عند الاشوريين ببلاد خاتي اوهاتي وكانت عاصمتها تعرف باسم كركمش[٥] وفي سنة ١٨٧٦ نشر سيس Sayce تقريرا عن الكتابات القديمة التي وجدت في آسيا الصغرى وقال عنها انها كتابات حيثية ومن اهمها تلك الكتابات التي اكتشفت بالقرب من بوغازكوى والاجا هويوك ويازيليكايا ، وقد تبين انها كتابات صورية [٦] . وشجعت بحوث السيد سيس العلماء الاخرين في أوائل القرن العشرين فاكتشفت كتابات مماثلة في مناطق جبال طوروس ثم جرت التنقيبات في عدة مناطق منها كركمش وسنجرلي ، وفي سنة ١٩١٠ نشر جون كارستانك تقريرا عن زياراته في المستوطنات الحيثية في آسيا الصغرى ثم نشر كتابا عن الحيثيين استعرض فيه المخلفات الحيثية ونتائج تنقيباته في سكجة كوزو[٧] . وبعد ان وضعت الحرب العالمية اوزارها جرت التنقيبات في عليشار هويوك[٨] والاجاهويك[٩] وكول تبه[١٠] وطرطوس[١١] ومرسن[١٢] .

واهم المعلومات التي نعتمد عليها لمعرفة ديانة الحيثيين ترد في النصوص الكثيرة التي دونت على الواح الطين وقد وجد معظم هذه الالواح في المكتبة الملكية في بوغاز كوي ويتناول معظم هذه الالواح النواحي الدينية ذات العلاقة بالملك أي ان غالبية الالواح توضح الجانب الرسمي لديانة الدولة ولا يعرف منها الا شيء قليل عن عبادة عامة الناس ولذلك نعتمد في هذه

الحالة على معلومات اخرى وردت في الرقم الطينية التي خلفها الاشوريون في القرن التاسع عشر قبل الميلاد في كبدوكية والرقم الطينية التي كتبها الحيثيون بالخط الهيروغليفي الذي استمر استعماله زهاء ٥٠٠ سنة كما نعتمد على المواد الاثرية التي عثر عليها المنقبون في المواقع الاثرية . ومما لاشك فيه، ان بعض المعلومات يمكن استخلاصها بالمقارنة مع المعتقدات الدينية في العراق وبلاد اليونان . وقد تعلم الحيثيون الكتابة من سكان العراق القدماء واقتبسوا منهم بعض معتقداتهم وشعائرهم الدينية ولكنهم لم ينقلوا هذه العبادات والشعائر كما كانت تمارس في وادي الرافدين بل حوروا فيها تحويرا يتلائم مع فكرهم الديني فعلى الباحث ان يتحقق في كل حالة لمعرفة عمق الاقتباس ومدى الاضافة . ويفهم من دراسة الاحوال الدينية في هذا العصر شدة تمسك سكان الاناضول القدماء بمعتقداتهم حتى ان عبادة بعض الالهة التي يعود تاريخها الى زمن الحيثيين او زمن من سبقهم قد استمرت في العهد اليوناني والروماني .

ان الديانة الحيثية التي نحن بصدد دراستها من المصادر التي سبق ان ذكرناها هي ديانة تقوم على مبدأ الشرك على غرار معظم ديانات سكان اقطار الشرق الادنى القديم وقد تعددت الالهة في هذه الديانة تعددا كبيرا الامر الذي يدعو الى الاعتقاد بتطور ديني بدأ منذ زمن بعيد حتى بلغ هذه الدرجة من التعقيد في هذا العهد . ومن المحتمل ان تكون عبادة بعض الالهة ظهرت بشكل خاص في مدن معينة قبل ان تنتشر على نطاق واسع مما يدعو الى الافتراض بوجود مرحلة اولى لالهة محلية . هذا من ناحية ومن ناحية ثانية نجد ان بعض الالهة الذكور والاناث المرتبطة باماكن معينة تحمل نفس الاسم ومثال ذلك الهالجو الذي كان يعرف بهذا الاسم في مدينة نرك ومدينة ساموحا . ان تسمية اله الجو باسم واحد في هاتين المدينتين يدل على ان لهذا الاله صفة محلية في كل من المدينتين بشكل مستقل . أو ان عبادته كانت شائعة في كل مكان والتفسير المقبول لهذه الظاهرة هو الافتراض بان اله الجو كان

معبودا محليا في كل مدينة ،ولكنه كان يتمتع بخصائص عامة مشتركة لها صلة بالخصب والمطر ، ولذلك كثر ذكره . وكان اسمه يكتب بالخط المسماري الاكدي عندما تعلم الكهنة الحيثيون هذا الخط[١٣] .

أما الالهة الاخرى فكانت تتميز بوظائفها وواجباتها وقد جمع الكهنة بعضها في عائلة واحدة واعتبروها عائلة مقدسة ويظهر ان النظام العائلي للالهة وجد في الاناضول في عهد سابق فهناك اصنام رتبت بشكل مجموعات تتالف المجموعة الواحدة منها من صنمين او ثلاثة اصنام كما توجد اصنام قرصية الشكل لكل منها رأسان أو ثلاثة رؤوس تمثل الهة متعددة وفي بعض الاحيان يوجد صنم لاله طفل او ثلاثة اصنام تمثل الاله الاب والهة الام والاله الولد .[١٤]

ان الالهة التي عبدها الحيثيون احترمت في الاناضول من قبل جماعات اخرى متعددة كانت تتكلم بلغات مختلفة ويستدل على ذلك من العبارات المختلفة التي كانت تخاطب بها الالهة باللغات القومية او اللغات المحلية فبالاضافة الى الصلوات والترانيم والدعوات التي قيلت وكتبت بهذه بهذه اللغات المختلفة تذكر النصوص اغاني غناها المؤمنون في المعابد ومن ملاحظة اسماء الالهة التي ذكرها المغنون نستطيع ان نميز الالهة التي اهتمت بها كل جماعة من الجماعات المتعددة . ان بعض اسماء الالهة كتبت باللغة السومرية او الاكدية ومن الضروري التأكد لمعرفة ماذا كان الاسم الذي تعرف به الالهة هو اسم محلي ام اسم سومري او اكدي والامثلة على النوعين موجودة في اداب الحيثيين فالالهة عشتار هي الهة مابين النهرين ولكنها تعرف باسم شاوشكا بين الخورين او تعرف باسماء تعود الى لغات اخرى ومع ذلك فهي تخاطب في المراسيم الدينية باسمها الاكدي ويظهر ان الالهة البابلية نفسها كانت تعبد في أوساط الحيثيين ويبدو ان هذا التطور في التنظيم العائلي للارباب قدسبقته مراحل بدائية تمثلت بعبادة الجبال والانهار والينابيع والحيوانات . وكانت عادة تقديس الجبال معروفة في اسيا الصغرى منذ عصور قديمة وتعتبر الهة

مستقلة بذاتها او الهة تابعة لاله الجو وتوجد تجسيدات فنية للحالتين كما ان بعض الاسماء وخصوصا اسماء بعض ملوك الدولة الحيثية مثل ارنوانداش وتوذالياش وامونا هي في الاصل اسماء جبال مقدسة عند الحيثيين • واعتبر الحيثيون الانهار والينابيع الهة انثى والجبل الها ذكر • وقد صنع الحيثيون لهذه الالهة اصناما من الفخار والحجارة والمعدن كما ان صورها نقشت بحفر بارزة على الاختام الاسطوانية التي وجدت في عدة مواقع ولاسيما في كبدوكية ويظهر ان هذه الاختام الاسطوانية لم تستورد من الخارج بل تم حفرها ونقشها وفق التقاليد المحلية وهناك منحوتات بارزة بدائية ذات اهمية دينية بقيت حتى العهود المتأخرة نسبيا ففي نحت بارز يزين باب الغول في الجاهويوك ويعود زمنه الى نهاية العهد الامبراطوري نشاهد زوجين من الالهة ذكرا وانثى وتظهر الملكة جالسة في احد المعابد[١٥] وهناك تماثيل صغيرة صنعت من البرونز[١٦] والمعادن الاخرى وتعتبر رمزا لاله الجو الذي كان يعبد في المدن المختلفة كما ان بعض الاحجار البسيطة كانت اوثانا ترمز الى الاله •

واصبح الثور حيوانا مقدسا في عبادة الحيثيين لارتباطه بالاله وقد يظهر المعبود احيانا في عربة يجرها ثوران • وفي اواخر عهد الحيثيين نلاحظ الملك في النقوش الفنية واقفا على ظهر ثور وقد يظهر الثور واقفا لوحده على مذبح[١٧] • وتوجد اهم معابد اله الجو في منطقة طوروس وسهول شمال سورية حيث يظهر الاله في معظم الاحيان وهو يحمل فأسا ورمزا لوميض البرق وفيما عدا الثور توجد حيوانات مقدسة لالهة اخرى فالاسد يعتبر رمزا للالهة عشتار وللالهة خيبات زوجة الاله تشوب وللاله القمر ولبعض الهة الحرب وتوجد في بعض المنحوتات الحجرية مدرجات تقف عليها هذه الحيوانات المقدسة • وقد تظهر معها نقوش تمثل قرص الشمس او الهلال او الجبل وقد تستبدل الحجارة احيانا بالمعادن الثمينة في حالات خاصة لنحت هذه المشاهد ان هذه التماثيل التي عثر عليها في الاماكن الصغيرة تعتبر مخلفات ذات صلة بالالهة ولا تمثل صفة عامة لها فالمعبودات الحيثية تتميز بسلاح أو بشيء اخر

يحمل في اليد اليمنى وبرمز يحمل في اليد اليسرى او بحيوان مقدس تقف الالهة غالبا فوقه .

واله الجو هو واحد من المعبودات المتعددة في اسيا وفي منطقة الخوريين بشمال سورية وكان اسمه يكتبه بالخط المسماري الاكـدي ويقرأ ادد أمـا صيغته الحيثية فلا تزال غ يرمعرفة حتى الان و في العصور المتأخرة كان يعرف باسم تارو وسماه الخوريون تشوب وقد اختص ببعث الامطار والسيول والاعاصير وهذه ظواهر طبيعية مألوفة بالنسبة لقطر مثل اسيا الصغرى وشمال سورية وشمال العراق حيث تعتمد الحياة الزراعية على الامطار . وفي النظام الكهنوني الذي وضعه رجال الدين الخوريين يعتبر تشوب رأس الالهة مثل زوس عند الاغريق ومثل اله الجو الذي اعتبر ملك بلاد الحيثيين . والجدير بالذكر ان اله الجو تختلف صفاته فتعددت اسماؤه تبعا لذلك ويمكن تقسيم هذا العدد الكبير الى قسمين قسم يرتبط بالطبيعـة وقسم يرتبط بالاحوال السياسية ويشمل القسم الاول اله الجو للبرق واله الجو للرعد واله الجو للغيوم والـه الجو للمطر والـه الجو للمراعي واله الجو للحقول الزراعية ويشمل القسم الثاني اله الجو للقصر الملكي واله الجو للملك واله الجو للجيش واله الجو للسلام ولايعرف ماذا كان هذا التعدد ناجما عن وجود الهة متعددة ام عن وجود مظاهر مختلفة لاله واحد ويمكن ان يكون التفسير الثاني اقرب الى الصحة لان الالقاب المتعددة تعبر عن الجوانب المتعددة لاله المطر الذي يعتبر ملك السموات الذي يحمي بدوره ملوك الارض .

اتخذ الحيثيون من الثور المقدس رمزا لهذا الاله المهيمن على شـؤون الجو والطقس وتبعا لعقيدة قديمة كان هذا الاله هو نفسه الثور[١٨] ويمكن تفسير علاقة اله الرعد والمطر بهذا الحيوان بالخصب الناتج من الامطار وبازدهار الحاصلات الزراعية بعد سقوطها ومن المحتمل ان تكون جذور هذه العقيدة ممتدة فى عصور قبل التـاريخ حيث نجد قرن الثـور منقوشا على الاواني الفخارية الملونة في عصر حلف في جنوب شرق الاناضول وفي شمال العـراق

في الالف الخامس قبل الميلاد . وقد فسر البعض هذه النقوش بعقيدة دينية قديمة تخص عبادة الثور في هذه المنطقة التي سكنها فيما بعد الخوريون وعبدوا الاله المعروف باسم تشوب . و فيمقابر الجاهزيوك التي تقع في وسط شبه جزيرة الاناضول عثر المنقبون في طبقات العصر البرونزي الاول على تماثيل برونزية للثيران والوعول والاسود وهي الحيوانات التي لها علاقة بالالهة[١٩] .وبالرغم من ان تماثيل هذه الحيوانات ليست تماثيل بالمعنى الكامل فهي ترتبط بالعقائد الدينية بطريقة ما . والاختام الاسطوانية هي مواد اثرية اخرى تدل على مدى انتشار عبادة الثورةوقد وجد الكثير منها في اسيا الصغرى وفي بلاد الخوريين . وتذكر الاساطير الخورية ان للاله تشوب ثوران اسم احدهما شيري اي النهار واسم الاخر خوري اي الليل وكان الثوران يجران عربته ولذلك اعتبر الثوران مقدسان مثل الجبال المقدسة التي ارتبطت به ايضا واكثر هذه الجبال قدسية هو جبل حازي المعروف لدى الاغريق بجبل كاسيوس الذي يمتد على سواحل البحر المتوسط عند مصب نهر العاصي وجبل نامني الذي لايعرف مكانه وهذان الجبلان المقدسان يرد ذكرهما في عبادات الخوريين ومنهم تعلم الحيثيون عبادتها . اما سلاح اله الجو فهو الصولجان وترد الاشارة الى هذا السلاح في نصوص الخطوط المسمارية وفي منحوتات العهد الامبراطوري اما الفأس الذي يظهر معه في فنون اواخر العصر الامبراطوري فهو خاص ببعض الهة الجو في عهد الامبراطورية ولا يأخذ هذا الفأس شكل الفأس المزدوج المعروف عند المينيين في كريت .

وانتقلت عبادة اله الجو السومري انليل وزوجته ننليل الى الحيثيين بواسطة الخوريين الذين اختلطوا بسكان شمال بلاد الرافدين ولكن عبادة هذين الزوجين المقدسين اقتصرت على المناطق التي خضعت لحكمهم وسمح لاهلها بحرية ممارسة شعائرهم الدينية ولذلك لم تتخذ هذه الالهة صفة رسمية لانها تمثل ديانة اجنبية غريبة عنهم لا مكان لها في داخل حدود مملكتهم. ولم يقف تعصب الحيثيين عند هذا الحد بل وضعوا اصنام الزوجين المقدسين بين تماثيل

الهتهم الرسمية فى معابدهم[٢١] . وعبد الحيثيون الها اخر خاصا بالمطر والعواصف اسمه تشوب الذي كانت عبادته سائدة بين الخوريين . وكما اعتقد سكان بلاد الرافدين القديم بوجود عائلة مقدسة تتألف من الاب انليل والام ننليل والابن ننورتا اعتقد الحيثيون بان للاله تشوب زوجة هي الالهة خيبات او خبيت وابن هو الاله شارما او شاروما ويظهر ان هذه العائلة الالهية كانت تقدس في مدن منطقة طوروس وسورية الشمالية حيث كان يسكن معظم الخوريين وقد تركزت عبادتها في مدينة حاب وساموحا[٢٢] . ويظهر الاله تشوب في معابد هذه المدن واقفا وفي يده فأس وشعاع يرمز به الى الصاعقة بينما يظهر في مدن اسيا الصغرى الداخلية واقفا في عربة تجرها الثيران فوق قمم الجبال ويتبين من المنحوتات البارزة ان الثور اتخذ رمزا له فاستبدل الاله في بعض الحالات بتمثال ثور يوضع امام دكة المذبح او فوقها في معبده كما هي الحالة في منحوتات معبد الجاهويوك . ولعل في اعتبار الثور رمزا خاصا بهذا الاله اشارة الى قوته التي يستطيع بها توجيه الرياح وبعث الامطار واحداث الرعد وعقد الزواج . وكانت زوجته توصف بالالهة العظمى وتتقدم على زوجها اثناء الاحتفالات الدينية ولايعرف ما اذا كان هذا الترتيب ناتجا عن الاعتقاد بالنظام الاموي في العائلة المقدسة عند الحيثيين والجدير بالذكر ان مثل هذا التقدم لاينطبق على الالهة خيبات ولذلك لاوجود له في عبادات الخوريين فأسم الزوج والزوجة يترادفان جنبا الى جنب في المراسم الدينية وعند تقديم القرابين ويستدل من هذا وجود الهة عظمى انثى عند القومين الحيثي والخوري ومع ذلك فهما تختلفان في بعض الخصائص لان الهة الشمس الحيثية التي كان مقرها في مدينة اريناهي الهة سماوية وتمجد باعتبارها « ملكة بلاد حاتي ، ملكة السماء والارض ، سيدة ملوك بلاد حاتي وموجهة دولة ملك وملكة حاتي » وقد اصبحت الحامية العليا للدولة والمملكة الحيثية وكان الملك يطلب منها المساعدة في الحرب ويستدل على صفتها السماوية من ترنيمة يمكن ان تعود الى الهة الشمس عند البابليين في وادي الرافدين . اما الالهة خيبات فلا يوجد دليل على صفتها السماوية في عبادات

الخوريين .والاسد هو الحيوان المفضل عند هذه الالهة ولذلك تظهر معه في اغلب المنحوتات . وكما وجدت صور متعددة في مدن مختلفة لاله الجو فقد وجد مثل ذلك لالهة الشمس وللالهة خيبات .

ونظم الكهنة الحيثيون الهتهم المتعددة في عائلة مقدسة تتألف من اب وام واولاد وبنات فاله الجو في مدينة نرك واله الجو في مدينة زيبالاند والهة الجو الجو البنت ميزولا والهة الجو الحفيدة زتتوحي هم ابناء اله الجو العظيم لمملكة الحيثيين وزوجته الهة الجو العظمى في مدينة ارينا وعند الخوريين تمثلت هذه العائلة في الاب تشوب والام خيبات والابن شاروما .

والى جانب الهة الشمس ارينا عبد الحيثيون الها ذكرا يعرف باسم سناتو وهو اله شمس ارينا ويستدل من الترانيم التي كانت ترتل له بانه ليس اصيلا في بلاد الاناضول بل في بلد مجاور يسكنه الساميون في الشام او في وادي الرافدين ويفهم من هذه الترانيم ومن الصلوات التي تقام له بانه مختص بالحق والعدل لانه يشرف من عليائه على اعمال جميع الناس[٢٥] وقد خاطبه المؤمنون بقولهم: « انت رب العدالة اللهم وانت فى مكان العدالة لاتكل[٢٦] . ويفهم من اسطورة اخرى ان اله الشمس يختفي في العالم السفلي الذي يمر فيه اثناء رحلته الليلية من الغرب الى الشرق[٢٧] ولذلك سماه الحيثيون الراعي وسماه الخوريون شميكي وهو اسم اله ذكر . ويظهر ان هذا الاله تعددت صوره ففي احد النصوص يوصف بان على راسه اسماكا وفي رواية اخرى يعرف باسم اله الشمس في الماء هذا الى جانب كونه اله شمس السماء ، واله العالم السفلي والجدير بالذكر ان اله شمس ارينا لم يكن حسب الديانة الرسمية زوج الهة شمس ارينا بل ان زوجها هو اله الجو تشوب الذي كان يلقب في عهد انيتاس بالاله الاعظم وكانت عبادته منتشرة انتشارا واسعا في الاناضول وعرف بملك السماء واله مملكة حاتي وله صلة وثيقة بالحروب والمعارك ويمثل الامة في معاملاتها مع الدول الاجنبية وورد ذكره في المعاهدة المعقودة بين خاتوشيلش الثالث ورعميس الثاني فرعون مصر . ويظهر ان نوعا من التوحيد قد تم في

السنوات الاخيرة من عهد الامبراطورية بين الاله تشوب الخوري واله الجو الحاتي وبين الالهة خيبات الخورية والهة شمس ارينا ومن المحتمل ان يكون هذا التطور قد حدث بتأثير الملكة بود وخيبا زوجة حاتوشيلش الثالث التي كانت متعصبة للالهة خيبات فقد نشأت هذه الاميرة في كوماتي احد مراكز العبادة الهامة للالهه خيبات الخورية • ومن المحتمل ان يكون مثل هـذا التوحيد قد حصل للاله شارما ومثيله اله الجو في نيرك وزيبا لاندا •

اما الاله القمر فقد سماه الحيثيون ارما وسماه الخوريون كاسكو او كوشح ولا يلعب هذاالاله دورا مهما بين مجموعة الالهة ويرمز اليه بالاسد عادة ويشترك بهذا الرمز مع عدد اخر من الالهة •

اما الالهة عشتار فكانت تسمى في الاناضول باسمها الاكدي وهو عشتار وباسمها الخوري وهو شاوشكا وكان مركز عبادتها الرئيسي في مدينة ساموحا (ملطية) التي تقع في جنوب شرق الاناضول واعتبرت عشتار الهة الحب والحرب واتخذت الاسد رمزا لها بوصفها الهة الحرب وكان عندها عدد من الخادمات اشتهرت منهن نيناتا وكوليتا • وقيل ان لها وظيفتين تساعد في الاولى البشر في كل مايخص شؤون الحب والزواج وتسبب لهم في الثانية المشاكل في نفس هذه المجالات •

وعبد الحيثيون الهات اخرى لها طابع حربي كما عبدوا نركال الالـه السومري باسم سولنكاتا والالهة زاببا باسمها الخوري اشتابي وتميـزت الالهتان الاخيرتان باتخاذ الاسد رمزا لهما ويعود اله القوس الى مجموعـة الهة الحرب ايضا • وهناك مجموعة من الالهة تسمى لاماسو المعروف عنـد الاشوريون مثل لاماسو الميدان ولاماسو الدروع • وبالاضافة الى ذلك عبد الحيثيون الالهة انار والاله تلبينو ابن اله الجو والمعروف بالاله الذي يختفي ويعود • وعبدوا زوجته الالهة خاتبينو كما عبدوا الالهة كاتاحا أو كامروسيبا ووظيفتها الاساسية مساعدة الالهة بالمسائل السحرية •

ان الهنود الاوربيين الذين تكلموا باللغة الانزانية والحيثية اقتبسوا عبادة الهة قديمة اخرى وسموها باسمائها الاصلية احيانا كالالهة اينار والالهة عشتار والالهتلبينو واله الجو الخوري تشوب وزوجته خيبات وابنه شاروما واله الشمس شميكي واله القمر كوشح والالهة شاوشكا وتناتا وكوليتا والثورين شيري وحوري والجبلين المقدسين حازى ونامني والمحاربين شوليتا واشتابي وعبدوا عددا كبيرا من الالهة الذكور والاناث بعضها ذو اصل سومري مع تحوير بسيط في الاسم مثل نيكال المعروفة عند السومرين ننكال وايا كما عبدوا بعض الالهة الارية مثل اندرا ومثرا وفارونا وفي العهود الكلاسيكية عبدوا الهة اغريقية توازي الهتهم في وظائفها مثل الالهة كوبابا التي توازي كيبيبة الاغريقية التي تظهر مع الالهة سبيل وقد تركزت عبادتها في مدينة كركمش ومثل الاله جوبتر دوليخينوس الروماني • اما الالهة خانا خانا فهي توازي الالهة ننتو السومرية والالهة هيرا عند الاغريق ويذكر في احدى الروايات ان خاتبونا خليلة الاله تليبينو كانت من نساء المعابد والمعروف ان الالهة تلبينو يختفي كما يختفي تموز وادونس واتس واوسيرس • وكان الاله سانتاس موازيا للاله مردخ واستمرت عبادته فى العهد الاغريقي تحت اسم ساندون الذي كان يحتفل به في مدينة طرسوس •

وتمثل يازيليكايا المجمع المقدس الرسمي للالهة في شكله النهائي اذ توجد فيه كل المعبودات فهناك اله والهة شمس ارينا وابنتها الالهة سيزولا وحفيدتها الالهة زتتوحي وتلبينو ابن اله الجو ومعبودات مجنحة ومن بينها الاله القمر وهو في الغالب من اصل خوري • والصف الطويل من الالهة الاناث اللاتي لايحمل منهن رموزا الا عدد صغير فقط ربما كن يمثلن الانهار والينابيع التي لا اسماء لها ومما لاشك فيه ان بقية الالهة موجودة هناك ايضا

اما اماكن العبادة فقد تعددت عند الحيثيين ففي بعض الاحيان اتخذ من الاماكن الصخرية في العراء كما في يازيليكايا مكانا للالتقاء بالالهة وفي حاتوشاش او بوغازكوي بنيت معابد كاملة بالحجارة الفخمة وفي اماكن اخرى كان المعبد مركزا رسميا للخدمات الحكومية اضافة الى وظيفته الدينية •

والمعابد الحيثية تشـــبه بصورة عامة معابد وادي الرافدين من حيث وجود عدة غرف تحيط بساحة مركزية مكشوفة الا انها تختلف عنها في مكان الغرفة الرئيسية المقدسة ففي بلاد الرافدين كان الزائر يدخل الى هذه الغرفة من الفناء المركزي بعد اجتياز غرفة صغيرة تقع على نفس المحور بحيث يستطيع الزائر مشاهدة اصنام المعبودات في المحراب من الساحة المركزية قبل دخول الغرفة اما في المعبد الحيثي فكان الدخول الى هـــذه الغرفة يتـــم من غرفتين متداخلتين جانبيتين ولذلك لايستطيع الزائر مشاهدة تماثيل الالهة الا من فتحـــات النوافـــذ الموجودة في الجدران الفاصلة واعتبر الحيثيون بناية المعبد وما فيه من اثاث ذات صفة مقدسة وعينوا الكهنة لرعاية الالهة وكان هؤلاء السدنة يقومون بغسل اصنام الالهة وتبديل ملابسها وتقديم الطعام والشراب واقامة حفلات الرقص والموسيقى لها في كل يوم .

اما امور العبادة فيعرف الكثير عن الجانب الرسمي منها فالواجبات الدينية كانت اهم الواجبات التي ترتبط بالملك مباشرة فقد يضطر الملك الى تأجيل قيادة حملة عسكرية لانجاز تلك الواجبات فالملك يجب ان يحضـــر الاحتفالات الدينية التـــي تستمر عدة ايام ويقوم برحلات متعددة لزيارة المعابد في المملكة للتأكد من تنفيذ الاوامر والاطلاع على ماقد يتسبب من اهمال رجال الدين . والاعياد عند الحيثيين كثيرة منها مايحتفل به في فصول السنة وتسمى باسماء الفصول ومنها ماتسمى باسماء خاصة . ويحضر الاحتفال بهذه الاعياد الملك او الملكة وفي بعض الاحيان تحضر الملكة فقط وفي حالات نادرة يحضر اكبر الامراء ويتطهر الملك في هذه المناسبات ويتحلى بالمجوهرات في مبنى خاص ثم يدخل هو والملكة الى ساحة المعبد ثم الى غرفة قدس الاقداس حيث توجد اصنام الالهة فيسكب السوائل على المكانات المقدسة في الغرفة مثل دكة المذبح والموقد والعرش والشباك والباب ثم يجلس على عرشه ويتقلد بشعارات الحكم ثم يشترك الجميع في تناول الطعام من مائدة توضع امام الملك ويشرب الجميع نخب الالهة وسط انغام الموسيقى وينتهي الحفل بغسل اليدين مرة ثانية .

وكان للفأل والتنبؤ بالمستقبل صلة وثيقة بالدين واعتمد البلاط الحيثي على العرافة الى حد كبير وتعلم الحيثيون معظم الامور المتعلقة بالفأل والتنبؤ من سكان وادي الرافدين والرقم الطينية التي دونت عليها المعلومات الخاصة بالفأل والتنبؤ وجدت مكتوبة باللغة الاكدية او مترجمة من اللغة الاكدية الى اللغة الحيثية كما وجدت تماثيل الاكباش والاكباد التي استخدمت لتلك الاغراض وتفسر النصوص التي عثر عليها في حاتوشاش معنى الاجزاء المختلفة للكبد في قضايا التنبؤ واعتمدت الطرق المتبعة للفأل والتنبؤ على السوال واستحصال الجواب بعد النظر في احشاء حيوان مذبوح لهذا الغرض او على مراقبة طيران طير او ملاحظة نتائج رمي الحصا وقدتكون النتيجة سلبية او ايجابية واذا كانت سلبية فيجب ان تتكرر العملية حتى الوصول الى نتائج حسنة مرغوب فيها •

اما السحر فكان مباحا ولكن السحر الاسود[٣١] منع بموجب القانون واعتبر جريمة يعاقب عليها والغرض الرئيسي من استخدام السحر هو التطهير ويشمل هذا التطهير عدم النظافة بمعناه الاعتيادي كما يشمل المرض والمشاجرة وبالسحر كان الحيثيون يعالجون السحر الاسود بواسطة التطهير • والطرق المستخدمة في التطهير كانت متعددة منها الغسل ولبس الملابس النظيفة ولبس بعض الملابس لفترة تنزع بعدها وتنقل الى مكان بعيد وبهذه الطريقة تنقل الملابس معها النجاسة الى مكان بعيد وقد يساق حيوان الى مسافة نائية لينقل معه اثار النجاسة وكانت هذه الممارسات يصحبها القيام ببعض الطقوس السحرية والنطق ببعض الكلمات كأن يقال مثلما يختفي هذا يختفي الشر • واستخدم السحر لاستدعاء الالهة ايضا •

ويظهر ان الحيثيين بعد ان اخذوا المعلومات الخاصة بالسحر من جيرانهم في بلاد الرافدين حوروا فيها حسبما يتلائم مع عقيدهم كما ان عددا من السحرة وفد عليهم من كليكية حيث كان تأثير الخوريين فيها قويا فنقل هؤلاء معهم طرقهم الخاصة بالسحر • ويبدو ان الحيثيين لم يعتقدوا بان الشر هو من عمل الجن او من عمل الهة خاصة بل اعتقدوا بانه يحدث من النجاسة •

وترد قصص اسطورية احيانا في النصوص الخاصة بالسحر منها اسطورة الاله الذي يختفي واسم هـذا الاله يختلف من مكان لاخـر ففي احـدى الروايات يختفي اله الجو وفي رواية اخرى يختفي اله الشمس وفي رواية ثالثة يختفي الاله تلبينو وهذا الرأي هو المرجح وتبدأ الاسطورة بغضـب الالـه فيختفي وهو في حالة الغضب في فصل الجفاف فتجف المياه وتموت النباتات وتعقر الحيوانات ولاتستطيع رعاية صغارها ويقف تكاثرها ويعم القحط ويقاسي البشر والحيوانات الام ومصائب المجاعة والهلاك فتجتمع الالهة للتداول في الامر ويفسر اله الجو سبب القحط باختفاء ابنه تلبينو الذي ذهب واخذ معه كل شيء مفيد فيأمر اله الشمس النسر بالخروج للبحث عنه فوق الجبال وفي جوف الوديان واعماق المياه ويخرج النسر ويعود بعد بحث طويل دون ان يعثر على اثره فتأمر الالهة العظمى خانا خانا اله الجو بالخروج للبحث عن ابنه فيخرج الاله الاب ولكنه لايفلح في مهمته ثم تأمر الالهة العظمى النحل بالتفتيش عنه فيجده النحل في نوم عميق في مدينة لهزينا[٣٣] فتلدغه في يديه وقدميه فيستيقظ من نومه غاضبا وتستدرك الهة الشفاء كامروسيباس الامر بسحرها وتطرد الارواح الشريرة التي اثارت غضبه ويعود الاله المختفي على جناح النسر وبعودته تعود الحياة الى الحقول والمراعي والحيوانات وتقـام الاحتفالات في فصل الربيع تيمنا بعيد بورولي حيث تنحر القرابين وتقدم النذور وتوقد النيران وتزين المعابد بالاشجار الخضراء .

ان المقارنة بين هذه الاسطورة وبين اسطورة تموز تبين بعض اوجـه الخلاف ففي الاسطورة الحيثية لايموت الاله تلبينو بينما يموت دموزي (تموز) فى الاسطورة السومرية وفي الاسطورة الحيثية لاتقام المآتم على اختفاء الاله تلبينو وفي الاسطورة السومرية يعم الخزن في كل مكان وفي الاسطورة الحيثية لاتلعب زوجة الاله المختفي ا يدور في القصة بينما في الاسطورة السومرية تلعب الالهة اينانا (عشتار) دورا مهما جدا .

وهناك اسطورة اخرى تذكر في احتفالات اله الجو وهي تخص التنين او الافعى الويانكا[٣٣] . وترد الاسطورة في روايتين في الاولى تبدأ المعركـة

بين التنين الويانكا وبين اله الجو وينتصر التنين في الجولة الاولى فيستنجد اله الجو بالهة الاخرى فتساعده الالهة انار وتستخدم في ذلك رجلا اسمه خوباسياس بالاغراء فتدعو الرجل بهذه الطريقة الى وليمة يكثر فيها شرب الخمرة حتى يفقد وعيه فتشده انار بالحبال ثم يقتله اله الجو وبمقتله تنتهي القصة • وفي الرواية الثانية ينتصر التنين الويانكا على اله الجو في الجولة الاولى من المعركة ويأخذ منه قلبه وعينيه ثم يتزوج اله الجو امرأة من البشر تلد له ولدا وحينما يكبر هذا الولد يتزوج بنت الوبانكا ويطلب منه ابوه اله الجو ان يبحث له عن قلبه وعينيه المنزوعتين فيفعل الولد ماطلب منه ابوه ويعيد اليه قلبه وعينيه فيسترجع قوته ويحارب الويانكا في الجولة الثانية وهنا يقف الابن الى جانب جده الويانكا ضد والده اله الجو لانه اصبح عضوا في عائلة التنين ويطلب الابن من والده ان لايستغني عنه ولكن الوالد يقتل الويانكا ويقتل ولده ايضا •

ان هذه القصة تشبه اسطورة تايفون الاغريقية حيث يفقد الاله زوس اول الامر قوته او قوسه الذي يجده له الاله هرمس بمساعدة بنت التنين وبعد ان يستعيد زوس سلاحه يقتل تايفون[٣٥] •

ان هذه الاساطير هي روايات حيثية لاصل خوري واثرها ضعيف جدا في ديانات الاناضول ولكنها انتشرت في اماكن مختلفة وظلت زمنا طويلا ومن الناحية الثانية يتضح من هذه الاساطير ان شبه جزيرة الاناضول كانت حلقة وصل بين الشرق والغرب وقد تأثرت ديانة الحيثيين بالاقطار المجاورة في الشرق والغرب ومع ذلك احتفظت هذه الديانة بمزايا خاصة بها •

لم يتأثر الحيثيون بما اخذوه من سكان مابين النهرين في مجال الفال والسحر فقط بل تأثروا بالصلوات والدعوات والترانيم السومرية والاكدية ايضا وخصوصا بالترانيم التي صيغت لاله شمس ارينا • واحسن الصلوات المعروفة هي التي اقيمت من قبل الملك مرشيلش الثاني عام ١٣٣٠ قبل الميلاد عندما اجتاح البلاد مرض الطاعون الذي نقله الاسرى اثناء حملة قام بها والده

شوبيلو ليوماش الاول في سورية واعتبر انتشار المرض ناتجا عن غضب الاله وسبب هذا الغضب هو اهمال رجال الدين الذين لم ينحروا قربانا بهذه المناسبة ولان والد الملك نكث بالايمان مرتين ففي المرة الاولى نكث هذا الملك عهده عندما نصب نفسه ملكا على البلاد بدلا من اخيه وفي المرة الثانية نقض بنود المعاهدة التي عقدها مع المصريين واثار الحروب ضدهم • واعترف مرشيلش باخطاء والده كما لو كانت اخطاؤه هو نفسه عندما قال ان ذنوب الاباء يتحملها الابناء[٣٦] وللتخلص من هذا الوباء التمس الحيثيون من الالهة انقاذهم من الهلاك بقولهم اذا مات الجميع فلا يبقى في الحياة احد يقدم القرابين الضرورية للالهة وبما ان الملك اعترف باخطاء والده فعلى الالهة ان تصفح • وهناك صلاة اخرى تليت بمناسبة انتشار مرض الطاعون ذكرت في ترنيمة رتلت الى الهة شمس ارينا وهي تشبه ماكان يرتل لاله شمس ارينا الذكر • ونفهم من صلوات اخرى ان الحيثيين كانوا يعتقدون بفكرة الشفاعة اذ يطلب من اولاد اله الجو الاعظم لمدينة نرك التوسط لدى والديهم من اجل حياة الملك والملكة[٣٧] •

وفيما يتعلق بالاموات استخدم الحيثيون طريقة دفن الجثة بكاملها وطريقة حرقها ودفن بقايا العظام والرماد ففي اثناء التنقيبات التي جرت في طبقات تعود لعهد المملكة القديمة وجدت قبور تضم هياكل عظم ادمية وفي عهد المملكة الجديدة استخدمت طريقة حرق الجثث ودفن بقاياها المحروقة في جرار فخارية الى جانب طريقة دفن الجثة • وقد وجدت مثل هذه الجرار الفخارية مدفونة بالقرب من هاتوشاش العاصمة • وتشمل طقوس حرق الجثث كثيرا من المراسيم منها اطفاء النار بالخمرة في اليوم التالي ووضع بقايا العظام في زيت معطر محفوظ بداخل اناء من الفضة ثم لفها بقطع من الكتان واقامة وليمة جنائزية للمعزين امام العظام ثم نقل العظام الملفوفه الى مبنى خاص يسمى بيت الحجر حيث يتم دفنها وهي بداخل جرة من الفخار وتصحب هذه المراسيم نحر القرابين لعدة ايام بعد الدفن •

الهوامش

(١) Garstang, J., Prehistoric Mersin, Yumuk Tepe in Southern Turkey, Oxford, 1953, p. 18—20; Goldman, H., Excavations at Gozlu Kule, Tarsus, Vol. II, 1956,p. 67—73; Garstang, Adams and Williams, Third Report on the Excavation at Sekje Geuze, LAAA, Vol. XXIV, Nos. 3-4, 1937, p. 121-122.

(٢) سفر اخبار الايام الثاني ١ : ١٧

(٣) سفر الملوك الاول ١١ : ١

(٤) Akurgal., The Art of the Hittites, London, 1962, p. 65-66.

(٥) Hogarth, D., Carchemish I, 1914; Woolley, L., Carchemish II, 1921; Woolley and Barnett, Carchemish III, 1952.

(٦) جرني : الحيثيون ترجمة الدكتور محمد عبدالقادر ، ١٩٦٣ ص ٢٤

(٧) Garstang, J., Excavations at Sekje Geuzi in North Syria, LAAA, Vol. I, 1908, p. 97—117.

(٨) Osten, I., The Alishar Huyuk Season of 1932-1933, III, OIP, No. 30, 1937.

(٩) Arik, R., Alaca Huyuk, Ankara, 1935.

(١٠) Ozguc, T., Kultepe, Bulletin, Turk Tarih Kurumu, Ankara, 1949.

(١١) Goldman, H., Excavations at Gozlu Kule, Tarsus, Vol. II, Princeton University Press, New Jersey 1956.

(١٢) Garstang, J. Prehistoric Mersin, Yumuk Tepe in Southern Turkey, Oxford, 1953.

(١٣) Guterbock, Hittite Religion, in Ancient Religions edited by Ferm, V., New York, 1950. p. 84.

(١٤) Osten, I., The Alishar Huyuk Season of 1932—1933, III, OIP, No. 3, 1937, p. 346, Fig. 269.

(١٥) Guterbock, P. 89.

(١٦) Akurgal, Plates, 3, 4, 5, 6, 137

(١٧) جرني : ص ٢٠٩

(١٨) Guterbock, P. 89.

(١٩) Akurgal, Plates, 1—6, 34.

(٢٠) جرني : ص ١٨٧

(٢١) Gurney, O. The Hittites, London, 1952, P. 136.

(٢٢) ربما تكون ساموحا هي مدينة ملاطية

(٢٣) Gurney, The Hittites, P. 149, Fig. 11.

(٢٤) Gurney, O. Hymn to the Sun God of Ariena, LAAA, 1940, P. 10.

(٢٥) Gurney, The Hittites, P. 139.

(٢٦) جرني : ص ١٩٥

(٢٧) Gurney, The Hittites, P. 140.

(٢٨) Akurgal, Plates 76, 77, 79.

(٢٩) Gurney, The Hittites, P. 144—156.

(٣٠) Akurgal, Plates 104, 105.

(٣١) وهو السحر الذي يقصد به الإيذاء المتعمد

(٣٢) James, E., Myth and Ritual in the Ancient Near East, London, 1958, P. 193—197.

(٣٣) Goetze, A., The Telepinus Myth, ANET, p. 126—128.

(٣٤) James, P. 192—193. Guterbock, P. 102—103.

(٣٥) Avery, B., The New Century Classical Handbook, New York, 1962, P. 1129—1130.

(٣٦) Guterbock, P. 98.

(٣٧) Guterbock, P. 99.

المصادر المستخدمة بالبحث

Akurgal, A., The Art of the Hittites, London, 1962.

Arik, R., Alaca Huyuk, Ankara, 1935.

Avery, B., The New Century Classical Handbook, New York, 1962.

Garstang, J., Prehistoric Mersin, Yumuk Tepe in Southern Turkey, Oxford, 1953.

Garstang, J., Excavations at Sekje Geuzi in North Syria, LAAA, Vol. I, 1908.

Garstang, Adams and Williams, Third Report on the Excavations at Sekje Geuzi, LAAA, Vol.XXIV, Nos. 3—4, 1937.

Gaerstang, J., The Land of the Hittites, New York, 1910.

Goetze, A., The Telepinus Myth, ANET, 1950.

Goldman, H., Excavations at Gozlu Kule, Tarsus, Vol. II, Princeton University Press, New Jersey, 1956.

Gurney, O. The Hittites, Pelican Books, 1952.

Gurney, O. Hymn to the Sun God of Ariena, LAAA, 1940.

Guterbock, H., The Hittite Religion, in Ancient Religions, edited by V., Ferm, New York, 1950.

James, E. Myth and Ritual in the Ancient Near East, London, 1958.

Osten, I. The Alishar Huyuk Season of 1932—1944, III, OIP, No. 30, 1937.

Ozguc, T., Kultepe, Bulletin, Turk Tarih Kurumu, Ankara, 1949.

Woolley, L., Carchemish II, 1921.